المئويّة الأولى، الإرشاد الرسوليّ ورسوليّة الكنيسة

مع صدور الجزء الثاني من المشرق في منتصف السنة ١٩٩٧، تطلّ مجلّتنا على ختام مئويّتها الأولى، إذ قد أسّسها رجل النهضة الكبير، الأب لويس شيخو اليسوعيّ في العام ١٨٩٨. ولأنّ المشرق هي عنوان ركن أصيل في صرح الثقافة العربيّة وأداةٌ لا تنفكّ تتطلّع خدمة الكنيسة والوطن، فإنّ سنتها المقبلة ستكون سنة الشهادة والوفاء. وزيارة قداسة البابا يوحنّا بولس الثاني لبنان في أيّار الماضي جاءت لتزيد أسرة المجلّة عزمًا على الاستمرار في السعي التوّاق إلى النهضة.

زيارة البابا تلك والإرشاد الرسوليّ الذي رافقها، يحلّل عناصرهما الأساسيّة في هذا العدد الأب توم سيكينغ اليسوعيّ، وقد كان في عداد هيئة خبراء السينودس من أجل لبنان. إلى هذا التحليل الموسّع، نضيف بعض العناوين التي استخرجناها من قراءة الإرشاد الأوّليّة:

- الإرشاد الرسوليّ يدعو المسيحيّين، والكاثوليك خاصّة، إلى أن يكون وجودهم وجودًا رسوليًا. الخوف والقلق والانطواء على الذات لا تؤسّس كنيسة، بل إنّها نوع من الخيانة، كما يقول الإرشاد، لروح الإنجيل، روح المصالحة والقيامة.
- الإرشاد الرسوليّ يدعو إلى حياةٍ كنسيّة، أي إلى انتهاء النظرة إلى الكنيسة على أنّها الطائفة أوّلًا وأخيرًا. وهو إذ يؤكّد قيمة التراثات الليتورجيّة المختلفة، يدعو إلى قيام العلاقات بين الكنائس، لأنّ حجر الزاوية ليس المصالح البشريّة العابرة، بل هو المسيح حياتنا. «فالكنيسة التي أرادها المسيح هي سرّ الوحدة في التعدُّد، سرّ الشركة التي يشكّل

الثالوث المقدّس جوهرها ونموذجها وغايتها» (رقم ٧٠). التجدُّد الكنسيّ هو الطريق إلى إنهاض الروح.

- مسيحيّو لبنان لهم مسؤوليّة خاصّة ودور مميَّز في هذا الشرق، من أجل الشرق، ومن أجل إخوتهم المسيحيّين في الشرق. يدعو البابا كنيسة لبنان إلى أن تكون شركة، لا مجرّد أطياف، وأن تكون في شركة مع مجمل الكنيسة الكاثوليكيّة في الشرق الأوسط، وأن تكون في تضامن مع البلاد العربيّة، ملتصقة بالثقافة العربيّة. فجذور الهويّة اللبنانيّة، بشقّيها السياسيّ والاجتماعيّ، هي ذات طبيعة دينيّة، كما يقول البابا في إرشاده، وهذا يعني أنّ الثقافة هي نسبيّة تكتسب أهمّيّتها من كونها في خدمة الإنجيل، في خدمة الهويّة. همُّ الإرشاد أن تطوِّر الكنيسة الكاثوليكيّة خطابًا لاهوتيًّا أصيلًا يكون في خدمة الوجود المشترك والمصالحة والسلام وحياة الروح في الشركة ذات الأبعاد المتعدِّدة.
- ولا ينسى الإرشاد أن يقول علنًا وبقوّة ما قيل سابقًا من أنّ انتهاء الحرب في لبنان لا بدّ أن يكون بداية بناء نظام اجتماعيّ عادل متكافئ يحترم الإنسان وكلَّ المكوِّنات التي يتألّف منها البلد. النظام السياسيّ هو في خدمة الجميع وأداة عدالة، لا وسيلة قهر واستبعاد.

هذه العناوين التي نعتبرها قضايا الحاضر والمستقبل هي دعوة إلى التجدُّد. إلاّ أنّ التجدُّد لا يتحقّق من دون العودة إلى الذات، وإلى الإنجيل، وإلى التفكير وصياغة مشروع كنسيّ. ولا ننس أنّ التفكير العقليّ الحرّ لا يكون من دون ألمٍ وصليب، والألم هو مقياس فاعليّة الفكر.

وألم الفكر والبحث نتابعه عبر سائر مقالات هذا العدد من المشرق: فتحقيق مخطوطَيْن لحنين بن إسحٰق وجرمانس فرحات، والبحث في المتناقضات بين يحيى بن عديّ وراسل، ودور المرأة في ضوء الإنجيل، وكتابات أخرى في الإسلام والجغرافيا اليمنيّة، والموسيقى الشوبرتيّة، ونتاج أبي شبكة، وحالة الخلافة الفاطميّة قبيل الغزو الصليبيّ، كلّها محطّات، وإن بدت خارجة عن الزمن أحيانًا، فهي وجود في الثقافة وارتقاء بها لمزيد من الرجاء.